

روح المعاني

صلى الله عليه وسلم بالنساء ثم قال E : فاعقلوا قولي فاني قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إلى أن قال : بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم اللهم هل بلغت قال ابن إسحق : فذكر لي أن الناس قالوا : اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد انتهى .

فان هذه الرواية ظاهرة في أن الخطبة كانت يوم عرفة يوم الحج الأكبر كما في رواية يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ويوم الغدير كان اليوم الثامن عشر من ذي الحجة بعد أن فرغ صلى الله عليه وسلم وسلم من شأن المناسك وتوجه إلى المدينة المنورة وحينئذ يكون المأمور بتبليغه أمرا آخر غير ما بلغه صلى الله عليه وسلم قبل وشهد الناس على تبليغه واشهد الله تعالى على ذلك وليس هذا إلا الخلافة الكبرى والامامة العظمى فكأنه سبحانه يقول : يا أيها الرسول بلغ كون على كرم الله تعالى وجهه خليفتك وقائما مقامك بعدك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وإن قال لك الناس حين قلت : اللهم هل بلغت اللهم نعم وأنا نقول : إن الشرطية في الأمر الأول بعد غمض العين عما فيه ممنوعة لجواز أن يراد بالموصول في الآيتين الأحكام الشرعية المتعلقة بمصالح العباد في معاشهم ومعادهم ولا يلزم الخلو عن الفائدة إذ كم آية تكررت في القرآن وأمر ونهى ذكر مرارا للتأكيد والتقرير على أن بعضهم ذكر أن فائدة الأمر هنا إزالة توهم أن النبي صلى الله عليه وسلم الله تعالى عليه وسلم ترك أو يترك تبليغ شيء من الوحي تقية ويرد على الأمر الثاني أمران : الأول أن كون يوم الغدير بعد يوم عرفة مسلم لكن لانسلم أن الآية نزلت فيه ليكون المأمور بتبليغه أمر آخر بل الذي يقتضيه ظاهر الخطبة وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيها اللهم هل بلغت أن الآية نزلت قبل يومى الغدير وعرفة وماورد في غير ما أثر من أن سورة المائدة نزلت بين مكة والمدينة في حجة الوداع لا يصلح دليلا للبعدية وللقبلية إذ ليس فيه ذكر الإياب ولا الذهاب وظاهر حاله صلى الله عليه وسلم في تلك الحجة من اراءة المناسك ووضع الربا ودماء الجاهلية وغير ذلك مما يطول ذكره وقد ذكره أهل السير يرشد إلى أن النزول كان في الذهاب والثاني أنا لو سلمنا كون النزول يوم الغدير فلانسلم أن المأمور بتبليغه أمر آخر وغاية ما يلزم حينئذ لزوم التكرار وقد علمت فائدته وكثرة وقوعه سلمنا أن المأمور بتبليغه أمر آخر لكننا لانسلم أنه ليس إلا الخلافة وكم قد بلغ صلى الله عليه وسلم بعد ذلك غير ذلك من الآيات المنزلة E والذي يفهم من بعض الروايات أن هذه الآية قبل حجة الوداع فقد أخرج ابن مردويه والضياء في مختاره عن ابن عباس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي آية أنزلت من السماء أشد

عليك فقال : كنت بمنى أيام موسم واجتمع مشركو العرب وأفناء الناس فى الموسم فأ نزل على جبريل عليه السلام فقال : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رساتى الآية قال : فقامت عند العقبة فناديت : يا أيها الناس من ينصرنى على أن أبلغ رسالات ربى ولكم الجنة أيها الناس قولوا : لا إله إلا أنا رسول الله إليكم تفحلوا وتنجحوا ولكم الجنة قال E : فما بقى رجل ولا امرأة ولا أمة ولا صبي إلا يرمون على بالتراب والحجارة ويقولون : كذاب صابئ فعرض على عارض فقال : يا محمد إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعوا عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وانصرنى عليهم أن يجيبونى إلى طاعتك فجاء العباس عمه فأ نقذه منهم وطردهم عنه